جوانب لغوية في تأملات د.الطيّب البكّوش السياسية وحقوق الإنسان (٣-٣)

حكمت الحاج / تونس

مفهوم (التنمية) في الدراسات اللسانية..

لقد جرت العادة على أن يقترن مفهوم التنمية بالمشاغل الاقتصادية في المقام الأوّل وبالمشاغل الاجتماعيّة في المقام الثاني، ثم أخذ مجاله الدّلالي يتوسع في السنين الأخيرة ليكتسب بعدا شموليّا، اقتصاديا واجتماعيّا وثقافيّا وسياسيّا، فأصبح له مؤشر يقاس به تقدّم الأمم باعتباره حقّا من حقوق الإنسان والشعوب.

لكن اقتران التنمية بالدّراسات اللسانية لا يخلو من المفارقة في الأقلّ بالظاهر، ولم تجر العادة بهذا الاقتران خصوصا أنّ العلاقة بين المفهومين ليست بديهيّة ولا تخلو من اللّبس: فهل المقصود: أثر التنمية في الدّراسات اللسانيّة أم أثر الدّراسات اللسانيّة في التنمية؟

على الرغم من أنّ العلاقة جدليّة، فالمقصود هنا أساسا هو مساهمة الدّراسات اللسانيّة في عمليّة التنمية.

وحسبما يقول د. الطيب البكوش انه لما كان مفهوم التنمية مفهوما حديثا نسبيّا، فان اقتران الدّراسات اللسانيّة به أحدث. لكن هل يعني هذا أنّ الدّراسات اللسانيّة تاريخيا لم يكن لها هذا البعد، وأنّها قد اكتسبته حديثا؟

وقبل الإجابة عن هذه التساؤلات، اقتضى الأمر من مؤلفنا عدة صفحات من كتابه الذي نعرض له الآن من أجل توضيح الظروف المصاحبة لظهور الدّراسات اللسانيّة في مجتمع من المجتمعات.

ولراغب في استزادة ومعرفة أن يرجع إلى هذا الكتاب الصادر مؤخرا (تأملات في الديمقراطية وحقوق الإنسان: الأبعاد السياسية والاجتماعية والثقافية. تأليف د.الطيّب البكّوش. منشورات المعهد العربي لحقوق الإنسان، ٢٠٠٤، بواقع ٢٠٤ صفحات. تصميم الغلاف للفنان محمد علي بالقاضي. يتضمن الكتاب إضافة إلى تقديم بقلم أ. عبد الباسط بن حسن، الأقسام التالية: العرب وحقوق الإنسان. ثقافة حقوق الإنسان والسلم. التنمية والديمقراطية وحقوق الإنسان. اللّغة وحقوق الإنسان. حريّة الفكر والتعبير والإعلام. فلسطين وحقوق الإنسان.)

ولكن لا بأس أن تعرف عزيزي القارئ بانه عندما نتأمّل الظروف المصاحبة لظهور دراسات لسانيّة أو تفكير لساني في تاريخ مختلف الحضارات، نلاحظ أنّها تكاد تتماثل، ممّا يجعل منها عوامل موضوعيّة، كما يشاء أن يثبت المؤلف وهو الأستاذ المتخصص في الألسنية: فلا وجود مثلا لدراسات لسانية في حضارة شفوية، فوجود كتابة شرط أساس، لكنّه شرط ليس كافيا على الرغم من أنّه ضروري، فالعرب قبل الإسلام قد عرفوا الكتابة إذ أخذوا خطّهم عن الأنباط، ولكنّها كانت كتابة محدودة جدّا تكاد تكون مقصورة على الكهنة والقساوسة، وهي محدودة الوظائف إلى حد كبير، فلا فرق فيها مثلا بين الباء والتاء والثاء والياء والنون، إذ لم يتم التمييز بينها بالنقاط إلاّ بعد الإسلام. فهذا المستوى البدائي في وظائف الكتابة لا يكفي لظهور حركة علميّة وفكرية محورها اللسان وقضاياه.

ومع ظهور الإسلام، أصبحت الكتابة أداة حضاريةٍ استوجبت تطويرها لتلائم المدّ الحضاري العربي الإسلامي الجديد لتدوين القرآن أولا، ثم لتدوين جميع أنواع النتاج الفكري تالده وطارفه، فدوّنت أشعار العرب وأمثالهم السائرة وأيّامهم، وتمّ تدوين الحديث والسنّة والخطب والمآثر والسير.

وأمام تعدد اللهجات العربيّة واختلافها من جهة، ودخول الأعاجم الإسلام وحاجتهم إلى تعلّم العربيّة لنطق القرآن وفهمه أصبحت الحاجة إلى الدّراسات اللسانيّة ملحّة في شكل جمع ووصف أولَ الأمر، ثم في شكل تقعيد وتقنين وتفكير تنظيري بعد ذلك.

وهكذا تحولت ممارسة اللّسان العربي من الفطرة إلى الصناعة كما يقول ابن خلدون. فالدّراسات اللسانيّة صناعة وكلّ صناعة عامل تنمية في المجتمع. لكن لم يكن يُنظر إلى الموضوع من هذه الزاوية وإنّما من زاوية الحاجي أو الكمالي في نطاق العمران البشري، فالعلاقة بالتنمية موجودة ضمنيّا لكن من دون وعي واضح، لغياب المفهوم بغياب الحاجة إليه كآلية متطوّرة من آليات التفكير الحضاري كما هو الشأن اليوم.

وهنا يُطرح المؤلف السؤال التالي: أيها جدير بالدّراسة، من اللّهجات أو اللغات التي عرفها العرب؟

هنا تدخل عوامل قد تخضعُ للصدفة ولكنّها تصبح بالضّرورة موضوعيّة. فانتماء النبي العربي إلى قريش قد جعل لغتها تعتبر أفصح اللّغات وإن شملت الفصاحة لغات أخرى بلغت السبعة واعتبرتها التقاليد قد نزل بها القرآن جميعا حسب حديث نبوي ردده الدّارسون جيلا بعد جيل على الرغم من اعتبارها تتفاضل درجات.

وقد دفع ذلك الدارسين إلى البحث في الأسباب الكامنة وراء اعتبار لغة أفصح من أخرى ثم إلى البحث في مقاييس الفصاحة من دون تفطّن إلى أنّ مفهوم الفصاحة مفهوم نسبي، لغوي، ولا يخلو من الذاتية، بل لا يمكن أن يكون موضوعيا، إذا استثنينا ما ذكره الجاحظ من أنّ كلّ متكلّم فصيح بلسانه مادام يحقّق البيان والتبيين أي مادام يحقّق التواصل والإبلاغ.

ولقد شعر أكثر الدارسين العرب فطنة بأنّهم إزاء مُفارقة محرجة، إذ يوجد إجماع على أنّ أفصح العرب هم أشدّهم بداوة وبعدا عن الحضر وعن التخوم التي تتلامس فيها الأجناس واللّغات كما هو الشأن مع قبائل الشمال المتأثرة مثل الغساسنة بالروم البيزنطيين، وقبائل الشرق المتأثرة مثل المناذرة بالفرس، وقبائل الجنوب المتصلة بالأحباش مثل أهل اليمن، ولم يسلم من هذا الاحتكاك والاختلاط إلاّ قبائل هضاب نجد في قلب الجزيرة العربيّة مثل تميم وأسد. وهذا الذي جعل الفارابي في القرن الثالث يضع هذه المقاييس الجغرافيّة ويحدّد القبائل حسب درجات فصاحتها كأنّما هي دوائر تتباعد عن المركز فتتدنّى فصاحتها بالتناسب نفسه.

وقد قاده منطقهُ هذا إلى السكوت عن قريش التي لا تنطبق عليها هذه المقاييس إلاّ جزئيّا خصوصا أنّها تمارس التجارة إلى الشمال صيفا وإلى الجنوب شتاء. ولذلك ذكر من سكان البراري كما يقول من كان منهم في أوسط بلادهم ومن أشدّهم توحّشا وجفاء وأبعدهم إذعانا وانقيادا وهم قيس وتميم وأسد وطيء ثم هذيل.

فهؤلاء هم معظم من نُقل عنهم لسانُ العرب، والباقون لم يؤخذ عنهم شيء لأنّهم كانوا في أطراف بلادهم مخالطين غيرهم من الأمم مطبوعين على سرعة انقياد ألسنتهم لألفاظ سائر الأمم المطيفة بهم من الحبشة والهند والفرس والسريانيين وأهل الشام ومصر.

وتذكر السيرة النبويّة أنّ محمدا بن عبد الله الصبي قد استرضع في بني سعد بن بكر لفصاحتهم، وفي ذلك إقرار ضمني بأنّهم أفصح العرب فضلا عن أنّ موقعهم يربط بين نجد والحجاز.

وليس من قبيل المصادفة أن تحقّق أوروبا نهضتها في فترة الانتقال من القرون الوسطى إلى العصر الحديث بحركة لغويّة مماثلة. ففي بريطانيا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا وغيرها، ارتقت لهجة من اللّهجات شيئا فشيئا إلى مستوى اللّغة الرسميّة لأسباب هي أساسا سياسيّة، لأنّها لغة البلاط المهيمن، يزيدها اعتناءُ اللّغويين والنحاة بها ارتقاء وتميّزا، فتصبح منوالا يُحتذى الفصاحة وجودة القول (في فرنسا) باعتبار ذلك جزءا ومظهرا متميّزا من السلوك الاجتماعي الأمثل. وقد يبدو من المصادفات أن تقترن هذه الحركيّة ببروز آثار أدبيّة متميّزة تساهم في صقل تلك اللّغة الصاعدة فيجسّمها كاتبٌ قدير مثل شكسبير في الإنكليزية أو دانتي في الإيطالية أو سرفنتيس في الإسبانيّة أو رابليه في الفرنسيّة مثلا.

ولا يفوت د. الطيب البكوش أن يوجه انتقاده إلى أوساط المثقفين العرب الذين بحسب تصنيفه ينقسمون لغويا إلى ثلاثة أصناف:

صنف أحادي اللّغة بالعربية

صنف أحادي اللّغة بغير العربيّة

وصنف مزدوج اللّسان

ومفاد ذاك الانتقاد هو إن الذين كانوا يتجادلون منذ عقود حول اللغة العربيّة الأقدر على تحقيق النهضة والتنمية، يبدون كأنّما لم يستوعبوا الدّرس الذي يمكن استخلاصه مما صاغه الجاحظ في القرن الثاني وابن خلدون في القرن الثامن للهجرة، وهو أنّ قضيّة الفصاحة والبيان، والتبيين والتبليغ، ليست قضيّة اللّغة بقدر ما هي قضية مستعمليها، ولذلك قام الجدل على أساس الحصر والرّفض، أو الاختيار الإقصائي، في حين أنّ تغييرَ زاوية النظر باعتماد مقاييس التحليل الآني والزماني معا يدفع إلى اعتبار العربيّة الحديثة لغة ذات مستويات متعدّدة قد تبدو في ظاهر الأمر راجعة إلى لغتين نظاميا وأنماطيّا. ولكنّها تنصهر في وحدة تتميز بالتعدّد الحركي، ممّا يجعل هذه المستويات مترابطة متواصلة متكاملة الوظائف، يُثري بعضُها بعضا ثراء يُعمّقه الاستعمال والتطوّر المتواصل.

وإن هذا التصور يقتضي النظر إلى الدّراسات اللسانيّة من الزاوية نفسها، وذلك بعدم قصرها على المستوى "الفصيح" من دون المستويات الأخرى.

ومن هذه الزاوية، تصبح الفصاحة ذات دلالة معدّلة متطورة، تكاد تعني اللّغة الجامعة، من دون مفاضلة بين المستويات قائمة على ثنائيّة الاستحسان والاستهجان.

ولعلّ اقتران الدّراسات اللّهجيّة بالاستشراق كان من العوائق أمام تجذّرها في التقاليد البحثيّة العربيّة الحديثة. فالدّوافع الكامنة وراء اهتمام المستشرقين أو بتعبير أدقّ المستعربين باللّهجات العربيّة متعدّدة، منها العلمي، ومنها المصلحي (المقترن بالحاجة إلى تعلّم لغة سكّان البلدان المستعمرة) ومنها في بعض الأحيان ما قد تثير الريبة فتشمل الجميع من دون تمييز. وقد نتج عن ذلك كما لاحظ المؤلف أنّ كاد يترسّخ في الأذهان أنّ الاهتمام بالدّارجة إنّما يتمّ على حساب الفصحى، وأنّه قد يحمل على خلق الظروف المواتية للاستعاضة عن الفصحى بالدّارجة. وإنّه لوهم يدلّ على مدى اللبس الحاصل في الأذهان.

وهنا يرتفع صوت المؤلف قائلا: لقد آن الأوان لرفع اللّبس نهائيّا وللتخلّص من العقد التي حفّت به طويلا، بفضل فهم أدقّ وأجود لطبيعة العلاقة بين مستويات اللّغة كما تبدو لنا اليوم موضوعيا.

الثقافة الدينية وحقوق الإنسان..

يقرّ المؤلف ويعترف قائلا انه ليس من السهل تعريف الثقافة الدينيّة في البلاد العربية، ذلك أن تجارب الشعوب ودروس التاريخ تدفعنا إلى التمييز ضرورة من جهة بين النصوص الدينية في ذاتها من حيث هي موروث مشترك قابل للتأويل، محتمل للاجتهاد من جيل إلى جيل، وبين أشكال الفهم والتأويلات المختلفة أو السائدة من جهة أخرى، وكذلك بين التطبيقات المتباينة وسلوك الجماعات والأفراد من جهة ثالثة. فالثقافة الدينية السائدة في البلاد العربية هي حصيلة كل ذلك في آن، وهي نتاج التفاعل بين جميع هذه الظواهر في فترة زمانية ما.

إن النصوص الدينية عامةً من منظور عالم لغوي مثل د. الطيب البكوش مؤلف كتاب "تأملات في الديمقراطية وحقوق الإنسان" يغلب عليها الطابع الإبداعي، فهي لذلك نصوص قابلة للتأويل ويقتضي فهمها الاجتهاد، خصوصا أن منها ما هو مطلق يتصل بالمقاصد العامة ومنها ما هو ظرفي يتصل بما يسمّى أسباب النزول.

وإن النفاذ إلى اللب يقتضي الوقوف على المقاصد العامة الكبرى التي تنير ما هو ظرفي وتضفي عليه بعدا نسبيا.

ولقد كانت قضية العلاقة بين الثقافة الدينية الإسلامية وثقافة حقوق الإنسان كما تفهم اليوم من أكثر القضايا اختلافا، إذ تنقسم فيها المواقف في البلاد العربية اليوم إلى ثلاثة: ديني محض ومدني محض وديني مدني معا.

فالموقف الديني المحض، يعتبر أن لا شرعة إلا شرعة الدين وأن شرعة حقوق الإنسان بدعة دخيلة تجب مقاومتها. هذا الموقف بحسب د. البكوش هو في الحقيقة موقف أصولي لا تختلف فيه الفئات الأصولية الإسلامية عن غيرها في المسيحية أو اليهودية أو البوذية أو سواها. وهو موقف يتسم في الغالب بالتعصب لما تعتبره مقدسا لا يقبل نقاشا أو تغييرا أو تطويرا مهما تغيّرت الأوضاع الاجتماعية.

ويمكن طبعا أن نتبيّن درجات في هذه المواقف، فالمودودي مثلا يعتبر صراحة أن الديمقراطية ليست من الإسلام وهو من أبرز مراجع الأصوليين وإن كان بعضهم يسعى إلى التوفيق بين الديمقراطية والشورى برغم الفوارق الجوهرية بين المفهومين.

إن هذه الثقافة الدينية المتعصبة، ودائما مع د. الطيب البكوش هي المسؤولة اليوم عن المجازر العجيبة التي تقترف في الجزائر وعن العنف في مصر، وعن اغتيال المثقفين والأدباء والفنانين والصحفيين فيهما، وعن حملات التكفير والاتهام بالردة وهدر الدماء وإقحام القضاء في ذلك، ويكفي التذكير بما حدث لفرج فودة ونجيب محفوظ ونصر حامد أو زيد وغيرهم لتبيّن خطورة هذه الثقافة المحنّطة على حقوق الإنسان العربي عامة وعلى العقل العربي خاصة.

أما الموقف المدني المحض فينطلق مما يلاحظ من تأويلات حصرية شكلية ومن تطبيقات منافية لحقوق الإنسان ليعتبر الأديان عموما بما في ذلك الإسلام لا تلائم وحقوق الإنسان، لذلك يدعو إلى الفصل بين الديني والسياسي على أساس كونية قيم حقوق الإنسان وخصوصية القيم الدينية التي تختلف من دين إلى دين ومن مجتمع إلى آخر.

وهذا الموقف لا ينفي بالضرورة عن الثقافة العربية ما تتضمنه من قيم حقوق الإنسان حتى قبل الإسلام مذكّرا بحلف الفضول في مكة مثلا. ولكنه ينطلق من طغيان الفكر الأصولي وخطره على حقوق الإنسان للمطالبة باعتبار الدين قضية فردية بين الإنسان وخالقه لا دخل لطرف آخر رسمي أو غير رسمي فيها وبإقامة العلاقات الاجتماعية الحديثة على أساس القوانين الوضعية وقيم حقوق الإنسان الكونية كما نصت عليها المواثيق الدولية.

بيد أن كثيرا من المواقف التي تبدو توفيقية، دينية مدنية في ذات الوقت، ينطلق بعضها من الحق في الاجتهاد وقراءة النصوص الدينية قراءة تتجاوز ظاهر النص أو حرفيّته أو ظرفيته إلى تبني المقاصد في نبلها وسموّها، وبعضها الآخر من فرضية أن طلب الفصل بين الديني والسياسي لا يجدي نفعا وأن الواقعية تفرض مقاومة التعصب بالنص الديني ذاته الزاخر بما يدعم تلاؤم الدين وحقوق الإنسان.

ويذهب بعض المفكرين المسلمين أبعد من ذلك، من منطلق الإيمان ذاته إلى اعتبار الحرية الدينية حقا أقره الإسلام ذاته باسم مبدأ التسامح وأيضا باسم حريّة الإنسان منذ تحمّل الأمانة الكبرى.

إنّ هذا الاختلاف في النظر إلى العلاقة بين الإسلام وحقوق الإنسان مرده كما يرى إلى ذلك د. البكوش اختلاف المنطلقات، فالمنطلق عند بعضهم هو قراءة النص وعند بعضهم الآخر معاينة الممارسة الدينية السائدة أو المؤثرة.

ويمكن لقائل أن يقول إن المتعصبين الذين يمارسون العنف باسم الدين يمثلون أقلية. ولكن هل يمكن تجاهل تأثيرهم في الثقافة الدينية؟ فالخوف من الاغتيال والتكفير يؤثر من دون ريب في نوعية الثقافة الدينية السائدة ويحمل بعضهم على عدم الجهر بالرأي والتعبير وعلى إضعاف الفكر العربي والثقافة العربية التي لا يمكن أن تزدهر إلا باحترام حقوق الإنسان كاملة.

بورتريه لوأد النساء في زمن (الصحوة)!

كريم كطافة

هذه التداعيات بمناسبة تلك الأخبار التي صارت تتوارد عن حملة جهادية جديدة، أبطالها مجاهدون مسلحون بكل أنواع الأسلحة من السيف إلى السيارة المفخخة، ومن طرفي الخلاف المذهبي هذه المرة، لإجبار طالبات المدارس والجامعات على التحجب والفصل بين الجنسين في المدارس والجامعات العراقية.

قديماً وقديماً جداً كان الإعرابي الذي تلد امرأته بنتاً، (يدحلب) بالوليدة كالذئب العائد من صيد فاشل، إلى أقرب وهدة أو وراء أكمة أو في شق جبلي.. يحفر لها هناك ويطمرها حية. جريمة يكفي لها رجل واحد هو الأب في العادة أو ربما الأخ الأكبر لتلك الموؤدة. لا محال سيكون ذلك البليد حزيناً، إنما مصدر حزنه لم يكن الوأد بل مجيء البنت بعد طول انتظار الذكر. أقول الأب والأخ لأني أشك أن تستطيع امرأة مهما تبلد عقلها وغام بصرها أن تئد جزءاً من لحمها وبيديها. لا أحد من أفراد القبيلة سيسأل صاحب المصاب الجلل بما فعل ولماذا فعل؟ جميعاً فعلوا ويفعلون ما فعله عندما يدركهم ذات المصاب هم ينتظرون مقاتلين يساهمون مع القبيلة في الغزو لا نساء يشكلن عبئاً على أولئك المقاتلين وبالتالي موضوعاً للسبي من القبائل المعادية لهم. على العموم لم تكن المرأة إلا موضوعاً للاغتصاب إن كان باسم الزواج أو الخطف والسبي. قيل أن هذه القصة قديمة بل هي قديمة جداً تراكم عليها غبار أربعة عشر قرناً من السنين، وقد اندرس ذكرها وأثرها بمجيء الإسلام بتلك الآية الرائعة الحزينة (وإذا الموؤدة سئلت...)، تلك الآية التي أدخلت الجنس البشري في الصحراء العربية في رحاب عالم من القدسية والرحمة، وأنجت أولئك البداة الأجلاف من خطر الانقراض فيما لو هم واصلوا تلك الحمية القبلية الشاذة، كذلك حمت منهم أجناساً بشرية أخرى غزتها تلك الأقوام وفتحتها فتحاً مبيناً تحت راية الإسلام، ناقلة لهم الكثير من الأعراف والقيم الصحراوية باستثناء ذلك العرف الذي نهى عنه الدين الجديد.

نعم، هكذا قيل؛ وكان ذلك قديماً وقديماً جداً.. !

والآن لنبحث عن مسمى جديد نطلقه على هذا الكائن العصري الذي أنجاه الإسلام من الوأد قبل أربعة عشر قرناً.. لننزع أغشية العيون وأحجبة العقول ونتملاه بروحانية مجردة أولاً ثم نبحث له عن الاسم.. هذا الكائن العصري لم يزل بلا اسم.. مجرد كائن يسير على اثنتين ويمارس حركات بشرية شبيهة بالإنسان لكنه ليس بالإنسان، لأنه بلا ملامح.. ملامح الكائن تعطيه الهوية وبالتالي الاسم.. هذه ملامح قرد وإن كانت على رأس حصان.. وتلك ملامح حصان وإن كانت على جسد إنسان وغيرها ملامح هذا أو ذاك من الحيوانات وإن غيروا موضعها.. هذا الكائن العصري يفتقر بالمطلق إلى الملامح.. كيف أصفه إذن؟ لا أستطيع أن أصف غير كتلته العامة.. هي كتلة ضخمة.. وأحياناً غير ضخمة.. بالطبع هناك أحجام مختلفة لهذه الكتلة.. لكنها بكل أحجامها أقرب شبهاً بالزنزانة الانفرادية في السجون الفاشية.. زنزانة مكونة من طبقات من الأقمشة الخشنة مفصلة لسجين فرد، هي في هذا الشأن أقسى حتى من زنزانة السجون الفاشية لأن تلك الزنازين تكفي أحياناً لشخصين أو شخص ونصف في أتعس الظروف.. لكن هذه الزنزانة التي من القماش الخشن لا تكفي سوى لفرد واحد هو ذاته الكائن الذي يحملها حيثما ارتحل.. تغطي الزنزانة ذلك الكائن الذي بلا ملامح من أسفله حتى هامة ذلك الشيء الذي يشبه رأس الإنسان.. زنزانة من النوع المتحرك.. نعم.. أنها تتحرك وتمشي.. بل حتى تستطيع أن تهتدي إلى طريقها بدون مساعدة خارجية.. لا أظن أن هناك من يوجهها بواسطة أجهزة تحكم عن بعد.. على الرغم من زعم البعض أن هناك من يوجهها.. لكني أميل إلى الاعتقاد بنوع من التوجيه على شكل أوامر قليلة تتعلق بمشروع خروجها من البيت وإلى البيت ثانية.. الأمر لا يشبه (الريموند كونترول) بالطبع.. لكن لحسم الجدل سنقول أنها تسير ببرمجة داخلية مؤلفة من حزمة صغيرة من الأوامر.. زنزانة تسير في الطرقات والأسواق وتركب وسائط النقل وتنزل من وسائط النقل بدون مساعدة، وإن كان نزولها وصعودها فيه بعض الصعوبة والثقل، لكنها تحقق المهمة بنجاح في الغالب.. زنزانة سوداء داكنة أو زرقاء داكنة أو رمادية داكنة.. قتامة اللون شرط من شروط وجودها وسيرها منفردة في الطرقات.. في أعلاها شباك هو ذاته شباك الزنازين في أي سجن انفرادي فاش أو غير فاش وفي أي مكان من الدنيا، الاختلاف هنا في نسيج الشباك، في زنزانة الحديد الفاشية الشباك من جنس الحديد.. كذلك شباك هذه الزنزانة المتحركة هو من جنس قماش هيكل الزنزانة ذاته.. أُشيع مؤخراً عن خلاف حام دار بين شيخين من أولئك الذين أفتوا بهذه الزنازين.. كان موضوع الخلاف هو الشباك ذاته.. بين قائل بردمه وآخر داع إلى سفوره.. الداعي إلى الردم كان أقوى حجة وأشد وطأة على الكائن الزنزانة من ذاك الداعي إلى سفور الشباك.. لقد استدل شيخ الردم بحقائق لا يمكن دحضها! ببساطة فاتت الأول استدل الثاني بالعيون وعالم العيون العميق السحيق، قائلاً: العيون هي مكمن الرذيلة ومبعث الشهوات ونداء الفجور وصوت الشيطان.. العيون تفضح عري الحريم أكثر مما تفعله ملابس الحريم الشفافة يا مولاي.. هل تقبل يا هذا بسير امرأتك في الطرقات عارية..؟ لقد أُسقط بيد الرجل الداعي إلى سفور العيون.. مجرجراً خلفه ذيلاً طويلاً من الشكوك بعيون نسائه السافرات، شكوك صارت تنغل في قلبه مثل سوسة لئيمة.. جعلته يلعن اليوم الذي جادل فيه شيخ متفقه بأمور الدين. هذا الكائن الزنزانة يكون في البيوت مركوناً في غرف وزوايا مظلمة.. كلما كانت شبابيك وأبواب الغرف والزوايا صغيرة ومانعة لفضول وتطفل الغرباء من غير المحرمين، كلما كانت أكثر شرعية وهي أقرب إلى قلوب وعقول حماة الحريم في هذا الزمن.. هذا الكائن الممنوع من الحياة الرابض في زنازين الغرف والزوايا المرصودة والسائر في الطرقات والأسواق حاملاً زنزانته أينما يرتحل يسميه حماة الحريم في هذا العصر تجاوزاً بالمرأة المسلمة.. هل هي هذه المرأة المسلمة حقاً.. ما هذا التجني يا سادة الحريم.. كيف يحررها الدين من الوأد تحت التراب ويؤئدها في الحياة.. أيهما أكثر بلاء وأقسى وقعاً.. أهي جريمة الوأد تحت التراب لمرة واحدة وإلى الأبد.. أم جريمة الوأد كل لحظة ودقيقة وساعة ويوم وسنة.. ما دام النفس يصعد وينزل في جسد ذلك الكائن المغلوب على أمره..؟ أخيراً إذا كان تحرير الموؤدة الأولى حصل بواسطة الإسلام ونبي الإسلام.. فمن ذا الذي يحرر موؤدة القرن الواحد والعشرين؟

أفتونا دامت توفيقاتكم.